مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: البنتاغون الأمريكي وعملية صنع القرار في السياسة الأمريكية
اسم الكاتب: أ.د. احمد نوري النعيمي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/189
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 06:16 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

البنتاغون الأمريكي وعملية صنع القرار في السياسة الخارجية

الأستاذ الدكتور أحمد نوري النعيمي(*)

المقدمة

أن الرؤساء في الولايات المتحدة يضعون مبدئيا مسئولية السياسة الخارجيةعلى عاتق وزير الخارجية ، غير أنه في بعض الحالات ، نرى أن مستشاري الأمن القومي الأقوياء مثل كيسنجر وبريجنسكي صادفا صعوبة ضئيلة في تحقيق الهيمنة من خلال كسب ثقة الرؤساء الذين كانا في خدمتهم . ومن الأسباب الرئيسة للنزاع في أية إدارة أمريكية هو اهتمام موظفي البيت الأبيض بالإيحاءات السياسية للقرارات السياسية القصيرة المدى ، بينما تركز وزارة الخارجية على محافظة العلاقات وتطويرها مع الدول الأخرى على أساس المدى البعيد.

إذا كان هناك دور لبعض الوزارات النوعية في الولايات المتحدة في عملية صنع القرار ولو بصورة نسبية ، إلا أن البنتاغون الأمريكي له الدور الواضح في هذا المجال ولاسيما بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ .

أولا : وزارة الخارجية الأمريكية وعملية صنع القرار :

من الممكن تناول هذا الموضوع من خلال إقدام جي غارنر الحاكم المدني الأمريكي الذي تم تعيينه من قبل الإدارة الأمير كية على تشكيل حكومة عراقية بعد الاحتلال في نيسان من العام ٢٠٠٣، كان عليه أن يواجه تداعيات معارضة وزارة الخارجية الأمريكية لحكومة انتقالية . وكانت وزارة الخارجية ترغب في منح الدور الرئيس لقادة عراقيين من غير البعثيين ومن الداخل، غير أنها لم تتمكن من التعرف على الكثير من هؤلاء، باستثناء المقيمين بكردستان. ويعزى السبب في ذلك إلى عدم تعامل هؤلاء مع سلطة الاحتلال، لذا فكان تشكيل حكومة أكثر شمولا سيعني وجود حكومة احتلال أكثر نشاطا. في حقيقة الأمر، رغم موقف البنتاغون الواضح من حكومة انتقالية في عراق ما

بعد الاحتلال ، لم تكن الإدارة الأمريكية قد قررت بعد إن كانت تريد حكومة انتقالية ، فكانت بعض الدوائر في الإدارة تفضل حكومة عراقية أكثر شمولا . كانت هناك رغبة بين صفوف محترفي السياسة الخارجية بتوسيع المشاركة الدولية في حكم العراق لحقبة ما بعد الحرب ، وبإشراك الأمم المتحدة ، غير أن فئة أخرى ضمن الإدارة ولدوافع أيديولوجية ، كانت تبغي للولايات المتحدة أن تتزعم إعادة تكوين العراق بموجب النموذج التالي للحرب في كل من ألمانيا واليابان . أما رمسفلد والمحافظون الجدد إثر بهجتهم إزاء النصر العسكري السريع ، ودون اعتبار للكارثة الجارية على الأرض ، فكانوا يتحركون نحو تبني هذه الأجندة الطموحة . كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد أمضت عاما كاملا قبل الحرب لإعداد خطة بخمسة عشر مجلدا لكيفية حكم العراق بعد الحرب (كان بول ولفويتز ودوغلاس فيث وريتشارد بيرل من بين الثمانية عشرة شخصا الذين وقعوا رسالة علنية من مجموعة تدعى " مشروع القرن الأمريكي الجديد " تدعوا إلى الإطاحة بالرئيس صدام حسين . وغالبا ما ينسى أن تغيير النظام في العراق كان أيضا السياسة المعلنة لإدارة كلينتون ، وهدف قانون تغيير النظام في العراق الذي أقره الكونغرس في سنة ١٩٩٨ . وخصصت مائة مليون دولار إلى وزارة الخارجية لإنفاقها على السعي إلى إنهاء حكم الرئيس صدام حسين . وقد برزت هذه السياسة في أعقاب فشل برنامج العمل السري لعام ١٩٩٦ وأعلن عنها أمام العالم ([1]) .

وكانت الإدارة تفتقر إلى التنظيم لدرجة أن وزارة الدفاع (الذي كان بريمر سيعمل لحسابها كما كانت مسئولة عن إعداده) لم تخبره بوجود هذه الدراسة المعدة من وزارة الخارجية ، بل كان سيسمع عنها عبر وسائل الإعلام بعد مدة من وصوله إلى بغداد. كانت وزارة الخارجية قد جمعت سابقا فريقا من الخبراء للتخطيط للعراق ما بعد الحرب ، وكان لدى ريتشارد أرميتاج طائرة بوينغ ٧٣٧ جاهزة لنقلهم مع حواسيبهم ونحو ثمانين ممن يتكلمون العربية ، ولديهم معرفة بالمنطقة إلى بغداد للبدء بإقامة سفارة في الظل . لقد كان للبنتاغون خطط أخرى ، وهي بالتأكيد لا تشمل وزارة الخارجية ، التي يعتقد كثير ممن كانوا يؤيدون رمسفلد أن أداءها كان ضعيفا في أفغانستان . وقد أثار مارك غروسمان ، وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية ، المسألة مع دوغلاس فيث مرارا ، وكان فيث يقول إنه سينظر في الأمر . وسرعان ما أتضح أنه من وجهة نظر

البنتاغون ، يمكن أن يظل فريق خبراء وزارة الخارجية منتظرا على المدرج في دالاس أو في قاعدة أندروز الجوية . كان الرئيس بوش قد اتخذ قرار الحرب على العراق بعد ١١ أيلول بمدة قصيرة ، لم يتناول على الإطلاق الأمور المتعلقة بكيفية حكم العراق بعد الاحتلال ، هل كانت الولايات المتحدة ستدير احتلالا مطولا كما فعلت في ألمانيا ؟ هل كانت ستعين حكومة مؤقتة ، وكيف كان سيتم اختيار أعضائها ؟ هل كانت ستجري انتخابات ؟ كيف كان سيدون دستور العراق ، وما الذي كان سيتضمنه ؟ ماهية الإجراءات التي كانت ستتخذ بحق القوات المسلحة العراقية ؟ وأمور أخرى . كانت هذه القضايا موضوع معارك داخلية شديدة داخل الإدارة ، وكان يفترض برجل لم يمضي على عمله في العراق غير أسبوعين حلها (٢) .

وزع أرميتاج في ٢٥ تموز ورقتين قصيرتين عن حكم العراق بعد الاحتلال(٣) . أظهرت الورقتان أن وزارة الخارجية تتأرجح بين هدفين مضادين : أن تترك العراقيين يحكمون أنفسهم ، أو أن يقوم الأمريكيون بحكم العراق لمدة طويلة بما فيه الكفاية حيث تضمن أن الخارجيين لن يصبحوا حكام العراق(٤) .

الورقة الأولى تحت عنوان " خطة دبلوماسية لليوم التالي " حذرت من خطر أن تصبغ الولايات المتحدة بلون " القوة المحتملة " . ربما تصبح النتيجة " حكومة منزوعة الشرعية ، فوضى ... وربما أعمال إرهابية ضد القوات الأمريكية " . ولهذا السبب طالبت الولايات المتحدة باستمرار ما يسمى ب " التحرير " بدل الاحتلال كموضوع رئيس لاستراتيجية الإدارة بالنسبة إلى العراق(٥) .

غير أن ورقة أرميتاج الثانية أخذت منحى آخر . قالت انه " يجب أن لا يكون هناك شك في من يتمتع بالسلطة التنفيذية الدولية في العراق " أي سلطة مدنية انتقالية بقيادة الولايات المتحدة . اقترحت الخارجية هذه السلطة كبديل لحكومة بقيادة العراقيين لعراق ما بعد الاحتلال(٦) .

في هذه الورقة الثانية ، ألمحت الخارجية الأمريكية إلى تاريخ أفغانستان الحديث. عندما سقط نظام الطالبان أدت الدبلوماسية المعروفة بعملية بون إلى حكم ذاتي أفغاني مباشر دون أي مدة احتلال. إلا أن أرميتاج قال أن بون لا يجوز أن تكون نموذجا للعراق

لأن الخارجيين كان لهم " وزن " أكبر في أفغانستان مما للخارجيين في العراق . كانت هذه نتيجة هائلة توصل إليها على أساس مجاز غير واضح دون أدلة (٧) .

إن مؤتمرا على غرار مؤتمر بون لأخذ موافقة على قيادة داخلية لا يناسب العراق كما ناسب أفغانستان ، حيث كان الوزن الحقيقي للقيادة في خارج البلاد ... أما الوزن الحقيقي في العراق فهو أكثر في الداخل بكثير مما هو في الخارج (٨) .

شددت الورقة على أنه: "من الحيوي جدا أن لا نظهر كأننا نحرم هذه الدوائر الانتخابية الداخلية حق التصويت"، مما يعني أن على الولايات المتحدة أن تكون لها دور قيادي مفتوح و" تأخذ الوقت الكافي لتطوير قيادة عراقية ديمقراطية ذات مصداقية " لذلك يجب على السلطة المدنية الانتقالية بقيادة الولايات المتحدة أن تنقل السلطة إلى العراقيين " تدريجيا " ويجب أن تتوقع الولايات المتحدة " مدة انتقالية تمتد لعدة سنوات من اجل بناء المؤسسات الديمقراطية " (٩) .

أصر أرميتاج أيضا على أن تبقى إيرادات النفط خارج الأيدي العراقية . أخيرا ، في ما صفعة لخطة وزارة الدفاع المقترحة لتدريب عسكري للعراقيين الخارجيين ، أعلن أنه ضد خلق " جيش " للمعارضة السياسية العراقية (١٠) .

باختصار ، هذه الورقة الثانية لأرميتاج اقترحت إدارة عراقية لما بعد الحرب تقودها الولايات المتحدة ذات شبه كبير " بالقوى المحتلة " الأجنبية التي حذرت منها زميلتها الورقة الأولى لوزارة الخارجية من أنها تثير الفوضى وعدم الاستقرار وهجمات ضد الولايات المتحدة . بإصراره على إبقاء الخارجيين العراقيين بعيدا عن السلطة السياسية ، لم يظهر أرميتاج أي إدراك لهذا التضارب . يظهر أن الغضب الشديد ضد الخارجيين عكر تفكير موظفي وزارة الخارجية وال " سي . آي . إيه "(١١) .

سوف يكتب موظفو الخارجية مع الوقت ، مذكرات كثيرة تعزز مفهوم السلطة المدنية الانتقالية. نزعت المذكرات إلى أن تكون ضبابية بشأن المدة التي سيستغرقها الحكم الانتقالي غير العراقي مع العلم " كما أقر أرميتاج " أن هذه السلطة ستدوم لسنوات لتحقيق هدفها . حتى المؤيدون للسلطة أقروا أن العراقيين سيستاءون أن يحكموا من قبل الأجانب لوقت طويل . لم يتمكن موظفو الخارجية قط من التوفيق بين إقرارهم بذلك الخطر ودعمهم لتأجيل الحكم الذاتي العراقي إلى" مدة انتقالية تستغرق سنوات"(١٢) .

أشارت سلطات التحالف الأمريكي – البريطاني في العراق ، أن مجلس الحكم الانتقالي الذي أعلن عن قيامه في ١٤ تموز ٢٠٠٣ ، سيكون له دور كبير في عملية صنع القرار القادمة . وهنا لابد من الإشارة ، أن بول بريمر كان له الحق بالقبول والرفض على قرارات مجلس الحكم الانتقالي (١٣) .

يمتلك رئيس الولايات المتحدة السيطرة والسلطة المطلقتين على الجيش الأمريكي ، الذي يعد القوة الجبارة والأكثر تقدما تكنولوجيا في العالم . يمتلك جيش الولايات المتحدة أكثر من ١٠ آلاف راس نووي، ويتألف من أكثر من٥ و٢ مليون جندي في صفوف الخدمة والاحتياط، ولديه وجود فاعل في أكثر من ١٣٠ دولة حول العالم. أنفقت الولايات المتحدة ما يناهز ٦٣٠ مليار دولار على الدفاع في العام ٢٠٠٧، وهي قيمة تفوق جميع ميزانيات الدفاع في باقي دول العالم مجتمعة (١٤) .

تداولت وزارة الدفاع الأمريكية في مرحلة ما بعد احتلال العراق في أسماء أمريكيين الذين كانت ستبعثهم لإدارة الحكم في العراق . كان هناك اثنان من الموظفين لدى ريتشارد هاس، كل منهما في عقده الثالث هناك، أحدهما كانت "ميغان أوسوليفان " وهي اختصاصية تخرجت من جامعة أكسفورد، وقد عملت في معهد بروكنغر، عملت مع هاس على مجموعة من الكتب التي تناولت العقوبات الاقتصادية والحوافز، وفي وزارة الخارجية ، أصبحت " ميغان " الساعد الأيمن لهاس في شئون ايرلندا الشمالية . وفي هذا المجال يقول هاس عنها : " كان لديها قدرة بلا حدود للعمل بجد وكد ، وكانت واحدة من عدد قليل جدا من الناس الذين صادفتهم يوما ويمكن لهم أن يتقنوا التفاصيل الأكثر تعقيدا من دون التغاضي عن الصورة الكبرى". أما الموظف الآخر، فكان "درو إردمان "، وهو مؤرخ متخرج من جامعة هارفارد كان له دور كبير في صياغة الأمن القومي ، وفي وقت لاحق من ذلك، تولى الدراسة المعمقة للتجارب والعبر المستقاة من التجارب الأمريكية في بناء الأمة على مدى القرن الماضي. كل منهما قد أشار إلى هاس " بأن هذه التجربة قد تكون حاسمة لجيلهما وأرادا أن يكونا جزءا منها " (١٥) .

كان "جاي غارنر " على استعداد للموافقة على "درو"، ولكنه أشار إلى أنه لا يريد "ميغان" في العراق. وفي هذا المجال، يقول هاس: "وعندما ضغطت عليه ، قال إنه كان يتصرف بموجب تعليمات وزير الدفاع ، والذي كان بدوره قد ألمح إلى أنه كان يتلقى

أوامره من نائب الرئيس . لقد أخذت " ميغان " بجريرتي ، فذنبها كان ارتباطها بي ، وبصفة عامة، بالعمل الذي أنجزناه والذي أشار إلى أن السياسة التي تقوم على العقوبات تجاه العراق قد تصب في مصلحة الولايات المتحدة على حد سواء . لقد تحدثت مع باول، فهدد "رمسفلد" بحرمان "غارنر" من خدمات أي كان في وزارة الخارجية الأمريكية ما لم يقبل ب "ميغان " في صفوف الفريق المتوجه إلى العراق . لكن رمسفلد بقي مصمما . ومن المفارقة أيضا أن "ميغان " ستمسي على مدى السنوات الأربع المقبلة واحدة من مساعدي " بول بريمر " الرئيسين في بغداد ، ولربما الأمريكية الأولى التي أولاها الزعماء السياسيون في العراق ثقتهم الأكثر ، وفي نهاية المطاف ، غدت نائب مستشار الأمن القومي في الإشراف على السياسة تجاه العراق وكانت هي من تبنت التغيير في السياسة العامة المعروفة بالطفرة من خلال الحكومة"([١٦]).

مع ذلك ، فشل باول في إقناع "رمسفلد بأن "غارنر" يجب أن يعين " توم واريك " في إحدى مناصب المكتب العسكري لإعادة البناء ، وهو موظف في وزارة الخارجية غريب الأطوار بعض الشيء ، إنما واسع الإطلاع وله وجهة نظر معينة ، وإن لم تكن محل ترحيب دائما ، حول الطريقة التي ينبغي أن تعتمدها الولايات المتحدة لإعادة بناء العراق ومن هم العراقيون الذين ينبغي العمل معه ([١٧]) .

عادت أهمية وزارة الخارجية الأمريكية من جديد من خلال تعيين بول بريمر عندما وافق الرئيس بوش على تعيينه في ٩ اذار ٢٠٠٣ كمبعوث رئاسي الى العراق ، ومنحه سلطة سلطة تامة على موظفي الحكومة الأمريكية وأنشطتها وأموالها هناك .لاحظ المراقبون ، حقيقة مهمة ، مفادها أن تعيين بريمر أتى بعد أن أتم بوش جلسة مشاورات أجراها مع رمسفلد ([١٨]). وتبعه رمسفلد بتعيينه مدير سلطة الائتلاف المؤقتة ، وتفويضه بكل الأعمال التنفيذية والتشريعية والقضائية في العراق ([١٩]) ، وذلك بعد انتهاء وقف العمليات الحربية في العراق والتي خاضتها الولايات المتحدة في ٢٠ آذار ٢٠٠٣. وقد أصبح بريمر بموجب ذلك أكبر مسئول مدني في العراق مترئساً الجنرال المتقاعد جي غارنر الذي عينته الولايات المتحدة الأمريكية كرئيس للإدارة المدنية في العراق. بهذا المعنى ، أصبح بريمر المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، وتمر سلسلة القيادة التي تعلو من خلال وزير الدفاع دونالد رامسفيلد إلى الرئيس مباشرة([٢٠]) .

أمام هذه الصلاحيات الكبيرة التي منحت لبريمر ، وصفته بعض التقارير الصحفية بأنه : "نائب الملك الأمريكي " في العراق المحتل ([٢١]) .

ومع أن بريمر كان مبعوثا رئاسيا ، فإن وزير الدفاع سيكون المسئول المباشر عنه، حيث وقع الرئيس بوش الابن أمر الأمن القومي الرئاسي رقم ٢٤ في أوائل كانون الثاني ٢٠٠٣ الذي يعطي بموجبه وزارة الدفاع المرجعية الكاملة والتامة عن العراق بعد الحرب([٢٢]).

على الرغم ، من التقارير الصحفية العديدة التي ذهبت من أن البنتاغون استبعد وزارة الخارجية من المشاركة في إعادة أعمار العراق ، فإن وجود كروكر ، وعشرات آخرين من الخارجية ، فضلا عن كبار العاملين من الخارجية الذين عملوا مع بريمر ، يظهر أن المسئولين في الخارجية كانوا مشاركين مشاركة فعالة بعد سقوط بغداد. وفي هذا المجال ، لابد من الإشارة، إلى أن الخارجية وبمشاركة كروكر الفعال، بعد وصول بريمر إلى بغداد، قدمت خطة كاملة لأنشطة ما بعد النزاع في العراق ([٢٣]) .

وبهذا القرار تكون وزارة الخارجية الأمريكية تجاوزت البنتاغون الأمريكي ، إذ كان في نية الأخير تعيين شخص يمثل التقاليد العسكرية الأمريكية. وبموجب هذا الإختيار يبعث الحاكم المدني الأمريكي بريمر بتقاريره مباشرة إلى وزير البنتاغون دونالد رامسفيلد([٢٤]) بالرغم من أن من المعروف أن جي غارنر من الأصدقاء المقربين لرامسفيلد الذي وصفه بأنه صديق وشخص موهوب للغاية.([٢٥]) في نظر المراقبين فإن غارنر لم يظهر قوة كافية ولا مهنية ، في عراق ما بعد الحرب ، لذلك كان عليه أن يخلي مكانه لشخص آخر تتوفر فيه صفات مناسبة لهذا الدور([٢٦]) . أما الرئيس بوش فإنه عبر عن رأيه عن بريمر قائلاً: ((انه صاحب خبرة كبيرة له تأييد كبير في الإدارة الأمريكية)). وفي واقع الأمر ، يعد تعيين بول بريمر الذي ينتمي إلى تقاليد وزارة الخارجية، بمثابة نصر حقيقي للأخيرة ، وتنامي دورها في عملية صنع القرار، مقابل تراجع أهمية بقية مؤسسات الدولة الرسمية في هذه العملية .

والحق ، في الأشهر التي سبقت غزو العراق، انهمكت وزارة الخارجية الأمريكية في جهود واسعة ومنظمة للتخطيط لإعادة أعمار ما بعد الحرب في العراق مما يأتي

نتائج أفضل . ولكن في النهاية تم تجاهل هذه الجهود ووضع التحكم في عملية إعادة البناء في أيدي وزارة الدفاع ([٢٧]) .

أن رمسفلد قد أخبر معاونيه في البنتاغون بأن في مقدورهم هم أيضا تجاهل التعليمات الصادرة عن مجلس الأمن القومي . وفي نهاية الأمر بات أن كوندليزا رايس لا تستطيع الإمساك بزمام البنتاغون كي تحمل قيادته على التقييد بالعمل الطبيعي فيما بين مختلف الوكالات الذي يضمن دون سواه بقاء واشنطن على السكة . كما بات جليا أيضا أن رامسفيلد وكبار مساعديه لا يدفعون ثمن هزئهم بالبيت الأبيض حول مسائل سياسية رئيسة ([٢٨]) .

إن علاقة القوى المهيمنة كانت بين رامسفيلد ونائب الرئيس ديك تشيني الذي يعد في واقع الأمر مستشار الرئيس الحقيقي لشؤون الأمن القومي . فقد كان رامسفيلد معلم ديك تشيني ورئيسه قبل أن يصير الشاب نائبا للرئيس بزمن طويل . وبالنسبة للآخرين في الإدارة ، المربكين بفعل العملية ، أو لعدم وجود عملية أصلا ، فقد اتضح لهم في آخر الأمر أن تشيني ورامسفيلد يملكان قناة خلفية فيها تتم صناعة القرارات الحقيقية ، وأن الإجتماعات الموسعة غالبا ما تكون غير ذات صلة بالموضوع . وعلى ذلك ، فإن إدارة بوش تكون الرئاسة الأولى في التاريخ الحديث التي يكون فيها البنتاغون دور مركز الجاذبية الساحقة للسياسة الخارجية الأمريكية ([٢٩]) .

ثانيا : التنافس بين وزارت الخارجية والدفاع في قرار غزو العراق :

إن التدخل الأمريكي في العراق أمر مأساوي شاذ في هذا السياق ، ولكن من الجدير بالذكر أن لدى التسويق للاجتياح أي قبل حدوث الحرب عمدت جميع الأفكار الأساسية ، من فكرة الهجوم المباغت إلى فكرة تشكيل قوة الاجتياح نفسها ، إلى بعث رسالة مفادها أن دخول البلاد قادرة على تجنب أنواع التكاليف المذكورة أعلاه . وكما تبين بالطبع ، ظهرت مجموعة مختلفة من الدروس أثبتت صحة النقطة السابقة . حيث اكتشفت الولايات المتحدة أن الحرب المنخفضة التكاليف نادرة الوجود ، وأن الخصوم الذين يشعرون أن ليس لديهم الكثير ليخسروه ، وفي الوقت نفسه لديهم الاستعداد لخسارة كل شيء ، يمكن لهم أن يكونوا فتاكين ويصعب التغلب عليهم. وعلى نحو متناقض ، في ظل معظم الظروف في عالمنا اليوم، تعد القوة سلطة الأضعف ([٣٠]) .

في اجتماع لمجلس الأمن القومي عقد قبل نحو ثلاثة أشهر من الحرب على العراق ، سأل الرئيس بوش الابن ، الجنرال طومي فرانكس ، ما الذي سيفعله بشأن الأمن والقانون والنظام في المناطق الخلفية ، قال فرانكس للرئيس بوش : " جرى الاهتمام بالأمر يا سيدي ، سأعين ضابطا أمريكيا يتولى شؤون كل مدينة وبلدة وقرية " ([٣١]) .

قبل نشوب الحرب في العراق ، أعد موظف في مجلس الأمن القومي تقديرا لعدد القوات المطلوبة لإقرار الوضع في العراق بعد الحرب، كان الجواب: ٠٠٠ و ١٣٩ إذا كان النموذج أفغانستان ، وأكثر من ٣٦٠ ألف إذا كان النموذج البوسنة ، و٠٠٠ ، ٥٠٠ على الأقل إذا كان النموذج كوسوفو ([٣٢]) .

لم ينكر نائب وزير الخارجية ريتشارد أرميتاج ([٣٣]) تهديدات النظام السياسي العراقي السابق بشأن سلامة مناطق حظر الطيران ، وقدرة مجلس الأمن على تنفيذ إجراءاته الاحتوائية وذلك القلق ولكنه حاول التقليل من شأنهما . وكان نائب مدير ال " سي . آي . ايه " جون ماكلوين غالبا ما يرمي بثقله لجهة أرميتاج من المناقشات . وولفويتز وسكوت ليبي شددا على أن النظام العراقي مشكلة لن تضمحل وربما أصبح من الأصعب التعامل معها. العراق يملك كميات هائلة من الأموال السائلة وسيكون لديه أكثر بكثير في غياب القيود، إذا ومتى رفعت العقوبات. ومن وجهة نظرتهما أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين يعد نفسه مظلوما، خاصة من قبل الولايات المتحدة، ويبقى عنيفا وطالبا للثأر. شكل تهديدا للكويت والمملكة العربية السعودية والأردن وإسرائيل وغيرها من الدول في المنطقة([٣٤]).

لقد اثبت بوش مدى السلطة القائمة التي يتمتع بها منصبه من خلال قراره بشن حرب شاملة على ما يسمى بالإرهاب واجتياح دولتين دون الحصول مطلقا على إعلان حرب من الكونغرس. حينما ينضم إلى رئيس أمريكي في الحكم كونغرس يسيطر عليه حزبه، كحال بوش خلال السنوات الأولى من حكمه، تصبح السلطة الاستثنائية أكثر قوة ، وفي بعض الأحيان تمسي غير قابلة للتحدي. ولا يمكن للاعتراض الدولي على تصرفاته أو اعتراض أغلبية الأمريكيين على سياساته، أن يردع شاغل هذا المنصب في ظل هذه الظروف. ليس ثمة مقياس للسلطة الحقيقية أصدق من القدرة على فرض إرادة المرء على أفراد معارضين، أو كما فعل بوش، على عالم معارض. قال مراقب جمهوري بارز في

واشنطن : " هذه هي إدارة بوش الابن . بالتأكيد كان الدور الذي لعبه نائب الرئيس تشيني ودونالد رامسفلد كبيرا . ولكن كل ما فعلاه ، والدور الذي لعبه كل منهما ، والمدى الذي سمح لهما بالوصول إليه ، كله كان بقرار من الرئيس في نهاية المطاف ... وحتما هو يتحمل مسئولية النتائج " ([٣٥]) .

إن سلطة الرئيس المعاصر ، وبخاصة حينما يتعلق الأمر بالشئون الخارجية ، هي بكل وضوح ليست ما خطر على بال المؤسسين الأمير كيين . حينما قال جون آدامز : " الخطر قد يتأتى من جميع البشر. يجب أن يكون المبدأ الوحيد للحكومة الحرة عدم الثقة برجل يمتلك سلطة تعريض الحرية العامة للخطر"([٣٦]) .

على مر الزمن ، أبرز الرؤساء الأمريكان تفوقهم السلطوي بطرق شتى ، من التوسيع التدريجي للفرع التنفيذي والموازنة ، وبالتالي النفوذ المرتبط بهما ، إلى تعديل المفاهيم مثل " الامتياز التنفيذي " . إن هذه التحركات لتدعيم السلطة فيما تؤثر إدارة بوش تسميته " السلطة التنفيذية الوحدوية " تقوم بكل فعالية بما كان يعد محرما من قبل المؤسسين الأمريكيين : ضعوا الرئيس وأعضاء مكتبه فوق القانون من خلال منع سلطة الكونغرس من التحقيق معهم . وبالتأكيد أثبت دوريا قادة الكونغرس الأمريكيون من جهتهم أنهم شديدو التقلب ومحدودو الإطلاع ومؤثرون لمصالحهم ومتحيزون ، وفي أغلب الأحيان أسوأ بكثير من ناحية احترام القانون ، لدرجة أن الرؤساء استفادوا من دعم شعبي هائل لأجل توسيع دور المسئول التنفيذي البارز وامتيازا ته . ليس ثمة شيء يعزز سلطة الرئيس بقدر الهيئات التشريعية الضعيفة ([٣٧]) .

والحق ، تزايدت أهمية البنتاغون الأمريكي على عهد وزير الدفاع رامسفلد ، حيث أبلغ الأخير – وهو نفسه من قدامى مقاتلي الحرب الباردة – فريقه الجديد " ربما بدا هذا الخصم الجديد أشبه بالاتحاد السوفيتي ، لكن هذا الخصم قد سقط : فأعدائنا اليوم أكثر غموضا وألد عداوة . ربما تفكرون في أنني أصف واحدا من آخر الدكتاتوريين الجلاوزة في العالم . لكن أيامهم أيضا تكاد تنتهي ولا يمكنهم موازاة هذا الخصم قوة وحجما . هذا الخصم أكثر قربا من الديار . إنه بيروقراطية البنتاغون " . ودعا رامسفلد إلى تحول على نطاق واسع في إدارة البنتاغون ، وإلى إحلال أنموذج جديد مكان البيروقراطية القديمة لوزارة الدفاع ، يرتكز على القطاع الخاص . المشكلة ، قال رامسفلد

هي أنه ، على عكس الأعمال ، " لا يمكن الحكومات أن تموت ، ولهذا علينا أن نجد حوافز أخرى للبيروقراطية للتكيف والتحسن " . وأعلن أن المخاطر فظيعة : " مسألة حياة كل أمريكي أم موته في النهاية " . وفي ذلك اليوم ، أعلن رامسفلد عن مبادرة رئيسة لتمهيد الطريق أمام استخدام القطاع الخاص في شن حروب الولايات المتحدة ، وتوقع أن تواجه مبادرته بمقاومة عنيفة . " وربما يسأل البعض ، كيف يمكن وزير الدفاع أن يهاجم البنتاغون أما أناسه ؟ " قال رامسفلد لمستمعيه : " وأجيبهم بأنه لا رغبة لي في مهاجمة البنتاغون ، أريد تحريره ، نريد إنقاذه من نفسه " (٣٨).

في الصباح التالي ، يتعرض البنتاغون لهجوم فعلي عندما صدمت طائرة البوينغ ٧٥٧ الرحلة ٧٧ ، التابعة للخطوط الجوية الأمريكية ، جداره الغربي . واشتهر رامسفلد بأنه ساعد عمال الإنقاذ على سحب الجثث من الركام . ولم يستغرق رامسفلد ، طويلا لاستغلال الفرصة التي قد لا تخطر في البال ، والتي وفرها الحادي عشر من أيلول ، لوضع حربه الشخصية – التي عرضها قبل يوم واحد بالضبط – على خطة التنفيذ السريع . تغير العالم بطريقة لا يمكن عكسها ، وتحول في لحظة مستقبل القوة العسكرية الأعظم في العالم ، إلى حصيرة قماش بيضاء ، صار في أمكان رامسفلد وحلفائه أن يرسما عليها " تحفتهم " . وستعتمد سياسة البنتاغون الجديدة بشدة على القطاع الخاص ، وتشدد على الأعمال السرية ، وأنظمة الأسلحة المتطورة ، واستخدام أكبر للقوات الخاصة والمقاولين . صار الأمر يعرف ب " عقيدة رامسفلد " . وفي هذا المجال كتب رامسفلد مقالة في صيف من العام ٢٠٠٢ في " فورين أفيرز بعنوان " تحويل الجيش " جاء فيها : " علينا تسويق مقاربة أكثر مقاولة : مقاربة تشجع الناس على أن يكونوا فاعلين ، لا منفعلين ، والتصرف بدرجة أقل كبيروقراطيين ، وأكثر كرأسماليين " غامسين " . وفتحت مقاربة " آثار الأقدام الصغيرة " لرامسفلد الباب لواحد من أكثر التطورات مغزى في العمليات الحربية الحديثة: الاستخدام الواسع للمقاولين الخاصين في كل مظهر من مظاهر الحرب، بما في ذلك القتال (٣٩) .

من بين أولئك الذين تلقوا دعوات مبكرة من الإدارة إلى الانضمام إلى " الحرب الشاملة على الإرهاب " التي ستدار وفقا لعقيدة رامسفلد ، شركة صغيرة غير معروفة كثيرا تعمل في مخيم تدريب عسكري خاص على مقربة من غريت ديسمال سوامب في كارولينا

الشمالية، اسمها "بلاكووتر يو. أس. أيه.". وبين ليلة وضحاها، تقريبا، غداة حادثة ١١ أيلول ، ستصبح شركة ، بالكاد كانت موجودة منذ أعوام قليلة سابقة، لاعبا مركزيا في الحرب الشاملة التي تشنها أقوى قوة في العالم . " مضى علي حتى الآن أربعة أعوام أنا أعمل في مجال التدريب ، وبدأت أصبح متهكما بعض الشيء حول الجدية التي يأخذ بها الناس الأمن " ، قال مالك شركة بلاكووتر ، أريك برانس لمضيف محطة " فوكس نيوز " بيل أوريللي بعد وقت قصير من الحادي عشر من أيلول : " وها أن الهاتف يرن من دون توقف الآن " (٤٠) .

لكن قصة بلاكووتر لا تبدأ في ١١ أيلول ، أو حتى مع مدرائها وتأسيسها . فهي بطرائق عدة توجز تاريخ العمليات الحربية الحديثة . والأكثر من ذلك ، أنها تمثل تحقيق عمل حياة المسئولين الذين شكلوا لب فرق حرب إدارة بوش (٤١) .

أبان حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١ ، تولى ديك تشيني ، حليف رامسفلد الوثيق منصب وزير الدفاع ، وكان واحدا من عشرة من الذين نشروا في منطقة الحرب من المقاولين الخاصين ، وهي نسبة قرر تشيني بإصرار تمريرها . وعهد تشيني قبل رحيله بدراسة إلى قسم من الشركة التي سيترأسها في النتيجة ، وهي هاليبرتون ، حول كيفية خصخصة سريعة للبيروقراطية العسكرية . وبين ما يقرب ليلة وضحاها ، ستنشى هاليبرتون لنفسها صناعة تلبي حاجات العمليات العسكرية الأمريكية مع إمكانيات كسب غير محدود على ما يظهر (٤٢) .

في أيلول ٢٠٠٠ ، وقبل شهر على تشكيل أعضائه لب البيت الأبيض لبوش ، نشر مشروع القرن الأمريكي الجديد تقريرا سمي " إعادة بناء دفاعات أمريكا : القوى والموارد لقرن جديد " . واعترف التقرير ، في وضعه رؤية مشروع القرن الأمريكي الجديد لإصلاح آلة الحرب الأمريكية إصلاحا شاملا بأنه : " من المتوقع أن تكون عملية التحول، حتى ولو أحدثت تغييرا ثوريا ، عملية طويلة ، في غياب حدث كارثي أو محفز ، مثل " بيرل هاربر " جديدة ". بعد سنة ، وفي الشهر نفسه ، ستوفر هجمات الحادي عشر من أيلول هذا المحفز: تبريرا لا سابق له للمضي قدما في الروزنامة الراديكالية التي قولبها ملاك صغير من العملاء السريين المحافظين الجدد، تولوا للتو سلطة رسمية(٤٣) .

ثالثا : البنتاغون وبلاك ووتر:

وعندما اندفعت الدبابات الأمريكية إلى بغداد في آذار ٢٠٠٣ ، جاءت معها بأكبر جيش من المقاولين الخاصين لم يجر نشره من قبل في حرب . وبانتهاء مدة إشغال رامسفلد لوظيفته ، قدر وجود مائة ألف مقاول خاص على الأرض في العراق – ما يقارب نسبة واحد إلى واحد مع الجنود الأمريكيين في الخدمة الفعلية – ما شكل اغتباطا كبيرا للصناعة الحربية وقبل تنحي رامسفلد ، اتخذ خطوة استثنائية بتصنيف المقاولين الخاصين جزءا رسميا من آلة الحرب الأمريكية . وفي مراجعة الأعوام الأربعة للبنتاغون في ٢٠٠٦، أوجز رامسفلد ما أسماه " خارطة طريق التغيير " في وزارة الدفاع ، التي قال إنها بدأت في ٢٠٠١ . وقد حددت " القوة الشاملة للوزارة " ب " مكوناتها العسكرية في الخدمة الفعلية وفي الاحتياط ، وموظفيها المدنيين ، ومقاوليها ، الذين يشكلون قدرتها وإمكانياتها في خوض الحرب . ويخدم أعضاء القوة الشاملة في آلاف المواقع حول العالم ، مؤيدين مروحة واسعة من الواجبات لتنفيذ مهمات حرجة " ([٤٤]) .

بينما ولدت الحرب على ما يسمى بالإرهاب ، واحتلال العراق ، عددا كبيرا من الشركات ، فإن عددا قليلا منها ، إذا وجد ، اختبر مثل هذا الصعود السريع كالبرق والاستفادة والمركز المرموق الذي اختبرته بلاك ووتر ([٤٥]) .

أن بلاكووتر قامت على أكتاف شخصيات أمريكية تمثل الثلاثية القديمة : التاجر والمبشر والعسكري مع تغيير قليل ، وهو أن التاجر هنا هو أيضا مبشر من اليمين المسيحي المتطرف . والعسكري ، هنا هو أيضا مبشر من اليمين المسيحي المتطرف . وحى السياسيين الذين يوفرون لها الغطاء والدعم وفي مقدمتهم الرئيس السابق بوش الابن مبشرين من اليمين المسيحي المتطرف . والجميع في النهاية دعاة حرب ، يريدون إعادة رسم خريطة العالم بالقوة ([٤٦]) .

إن فكرة إقامة شركة أمنية خاصة قتالية " بلاك ووتر للاستشارات الأمنية " هي من أفكار رجل المخابرات الأمريكية ، جامي سميث أثناء حرب الخليج الأولى . حيث يعد سميث من أشد أقطاب اليمين المسيحي المتطرف ، وأحد أهم وأخطر أعضاء مجلس إدارة مؤسسة "الحرية العالمية للمسيحيين". وهي مؤسسة غير ربحية لها أنشطة حول العالم، وهي تسعى حسب رأيها: " تقديم المساعدة للمسيحيين المضطهدين في العالم " ،

ولكنها في واقع الأمر تقود أكبر عمليات تنصير في العالم ، ولاسيما في الأقطار الأفريقية المسلمة ([٤٧]) .

في بداية الأمر لم يملك سميث المال اللازم ، إلا أن إريك برنس رئيس شركة " بلاك ووتر ساند ه في هذا الشأن ، داعيا له الالتحاق بشركته . إن برنس لم يقتنع في بداية الأمر أن تكون للشركة فكرة قتالية ، لكن سميث أقنعه بذلك في كانون الثاني من العام ٢٠٠١ ، الأمر الذي أدى إلى إدخال هذه الفكرة موضع التنفيذ ([٤٨]) .

بلاكووتر جيش خاص ، يسيطر عليه شخص واحد : إريك برانس ، وهو مسيحي يميني راديكالي وذات ثراء كبير في ولاية مشيغان الأمريكية ، لأب يدعى إيدجار برنس بنى مؤسسة كبرى تحمل اسم العائلة هي " برنس مانيوفاكتشرنج كورب " لصناعة مكونات السيارات ([٤٩]) ، ومليونير كبير ، عمل ممولا رئيسا ، ليس لحملات الرئيس بوش الانتخابية فحسب ، بل لإستراتجية مسيحية يمينية أكثر اتساعا ([٥٠]) .

نشأ برنس منذ صغره وهو يراقب والده يستخدم الشركة لتكوين المال اللازم لتمويل ونشوء وصعود ما يعرف اليوم باليمين المسيحي في الولايات المتحدة وتبرعه بأموال كثيرة إلى جاري بوبير لتأسيس ما يسمى ب " مجلس البحث العائلي " وهو تنظيم إنجيلي، وكان برنس ضمن المجموعة الأولى من المقيمين للخدمة في هذا التنظيم([٥١]).

أن والدي برنس عضوان في " مجلس من أجل سياسة قومية " ، وهو منظمة مسيحية متشددة للغاية وشبه سرية ، أعضاؤها رموز المحافظين الجدد في إدارة بوش ، مثل تشيني ورامسفلد وبريمر . ويؤمن أعضاء هذا المجلس ب " التدخل البشري في الخطة الإلهية لتعجيل مجيء المسيح الثاني ، عبر مساعدة دولة إسرائيل وشن الحروب ضد أعداء الله " ([٥٢]) .

هنا لابد من الإشارة حول العلاقة بن برنس ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي بدأت أساسا في أفغانستان ([٥٣]) .

أن برنس كان قد عمل كمتدرب في البيت الأبيض في عهد الرئيس الأسبق بوش الأب ، لكنه اشتكى بأن الأخير لم يكن يمينيا محافظا بما فيه الكفاية . كما عمل كمتدرب لعضو الكونغرس اليميني المحافظ لولاية كاليفورنيا دان روراباخر([٥٤]) .

ذهب برنس أيضا إلى أفغانستان قبل التحاقه بالقوات البحرية الخاصة " المارينز " وكان يتفاخر بأنه وقف بجانب المجاهدين الأفغان الذين يحاربهم الآن من خلال مرتزقة شركته بلاكووتر ([٥٥]) .

ومن خلال المهمات التي أنجزتها بلاك ووتر ل " سي . آي إيه " ، ومن خلال العلاقات السياسية والعسكرية لرئيسها برنس ، استطاعت الشركة أن تحصل على أهم زبائنها على الإطلاق وهي وزارة الخارجية الأمريكية . في هذا المجال يقول سميث : " ما أن جاءت وزارة الخارجية وأبرمت عقدا معنا حتى انفتحت أمامنا أبواب مختلفة . فها أنت تضع رجلك عند الباب من خلال دائرة حكومية لها فروع في كل دول العالم إنه يشبه الانتشار السرطاني . فما إن تصل إلى الدم حتى تضمن وصولك إلى كل الأطراف في غضون يومين " ([٥٦]) .

كانت دعوة رامسفلد منسجمة مع خط برنس حول ضرورة إسهام شركته في تحويل وزارة الدفاع إلى منظمة أكثر سرعة ورشاقة ، من خلال الاستعانة بشركته التي طالما كان يردد أنها " امتداد للجيش الأمريكي " ([٥٧])

فبلاكووتر كانت واحدة من أكثر كتائب حرب رامسفلد على البنتاغون فاعلية ، ويتحدث برانس بجرأة عن الدور الذي تلعبه شركته في التحول الجذري للجيش الأمريكي . " هل تستخدم، عندما تشحن ليلا، خدمة البريد العادي أو الفدكس؟، سأل برانس أخيرا، في خلال ندوة نقاشية مع مسئولين أمريكيين عسكريين . ف " هدف مؤسستنا أن تفعل بجهاز الأمن الوطني ما فعلته فدكس بخدمة البريد"([٥٨]).

ولعل الإشارة الأكثر تعبيرا عن حصول مثل هذا التغيير ، جاءت عندما حول البيت الأبيض مهمة كبار المسئولين الأمريكيين في العراق إلى بلاكووتر ، مطلع ٢٠٠٣. وعندما تنطع ل. بول بريمر سفير بوش في السنة الأولى للاحتلال ، لتطبيق روزنامة بوش في العراق، تلقى الحماية من بلاكووتر ، شأنه شأن كل سفير أمريكي جاء بالتوالي إلى العراق. وعلى عكس الجنود الذين في الخدمة الفعلية ويتلقون معاشات زهيدة ، أعطي حراس بلاكووتر معاشات بمئات الألوف من الدولارات . وذكرت مجلة " فورتشن " في ذلك الوقت، أن " المعاش النموذجي لمجموعة الحراسة الشخصية من المحترفين في العراق كانت في السابق بحدود ٣٠٠ دولار " للرجل الواحد " في اليوم . وما إن أخذت

بلاكووتر في التجنيد لمهمتها الرئيسة الأولى، وهي حماية بول بريمر، قفزت التعريفة إلى ٦٠٠ دولار في اليوم"([٥٩]).

فشركة بلاك ووتر تقاضت ٢١ مليون دولار من أجل تأمين الحماية لبول بريمر الحاكم المدني السابق في العراق ، كما أنها تحصل في العام الواحد ما يقرب من مليار دولار، في حين تحصل شركة إيجس البريطانية على ما يقارب ٣٠٠ مليون دولار سنويا([٦٠]).

ويتقاضى المرتزق أجورا كبيرا للغاية تتراوح بين ٥٠٠ و ١٥٠٠ دولار يوميا . في الوقت الذي يتقاضى الشرطي العراقي أقل من ٤٠٠ دولار شهريا ، ويتقاضى الجندي الأمريكي النظامي من رتبة جندي عادي وحتى قائد فصيل مبلغا يتراوح بين ١٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ دولار شهريا([٦١]) .

وبطبيعة الحال ، تتغير أجرة المرتزق تبعا لطبيعة المهمة المكلف بها ، والمنطقة التي يعمل فيها ، حتى إن البعض قدر قيمة التعاقد السنوي مع المرتزق المحترف في العراق بما يقارب ١٩٠ألف ألف دولار ، وقد يصل أجره اليومي في حال التعاقدات القصيرة الأمد في المناطق الساخنة بالعراق كالفلوجة مثلا إلة ٢٠٠٠ دولار يوميا[٦٢] .

أخذت هذه القوة الخاصة التي لا سابق لها تتوسع في العراق ، بينما كان آخر عمل يقوم به بريمر قبل التسلل خارجا من العراق في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ ، هو إصدار مرسوم يعرف ب " الأمر ١٧"، يعطي حصانة من الملاحقة القانونية للمقاولين في العراق". وهذه خطوة ذات مغزى في غضون السياسات التي تتحكم في احتلال العراق ، وهي خطوة شجعت القوى الخاصة . وفي وقت تعرض جنود أمريكيون للملاحقة القضائية بسبب عمليات قتل وتعذيب في العراق التي عقدت في حزيران ٢٠٠٦([٦٣]).

أعلنت بلاكووتر صراحة أن قواتها فوق القانون . قاومت محاولات إخضاع جنودها الخاصين لقانون البنتاغون الموحد للعدالة العسكرية وأصرت على أنهم من المدنيين، وطالبت في الوقت نفسه بالحصانة من المقاضاة المدنية في الولايات المتحدة، وقالت أن قوتها جزء من القوة الأمريكية الشاملة([٦٤]).

وأصبح من الواضح ، أن القانون العراقي لا يطول جرائم بلاكووتر التي تقدم على أعمال القتل والتنكيل ضد العراقيين ، ونجد أن القانون الصادر في ظل وجود الحاكم

المدني السابق ، بريمر قد خدم هؤلاء، بأن جعلهم بمنأى من المحاكمة العادلة ضد ما ارتكبوا من جرائم في حق الأبرياء المدنيين ([٦٥]).

جاء إلى العراق ما يقارب اثنتي عشرة أو أكثر من الشركات الأمنية الخاصة وأبرز هذه الشركات بلاك ووتر ، وتضم في صفوفها عشرات الآلاف من المرتزقة من جنسيات مختلفة ، وهي تشكل ثاني قوة أجنبية بعد الجيش الأمريكي ([٦٦]) .

سمع معظم العالم للمرة الأولى ب " الشركات العسكرية الخاصة " إثر الكمين الشهير في ٢١ آذار ٢٠٠٤ لجنود بلاكووتر الأربعة في الفلوجة في العراق ، وهي عملية عسكرية فاصلة ، طبعت لحظة التحول في الحرب ، وانفجار المقاومة العراقية ، وترك جثث مرتزقتها معلقة من على أحد الجسور . وهي تتضمن قتالا على السطوح في مدينة النجف العراقية ، وحملة على بحر قزوين الغني بالنفط ، وإلى حيث أرسلت الإدارة بلاكووتر لإقامة قاعدة عسكرية على بعد أميال فقط من الحدود الإيرانية ، وغارة على شوارع نيو أورلينز التي عاث فيها الإعصار تخريبا ، وساعات طويلة في أروقة السلطة في واشنطن العاصمة ، حيث يتم استقبال مدراء بلاكووتر التنفيذيين بوصفهم " الأبطال الجدد " في الحرب على ما يسمى بالإرهاب . إلا أن نشوء أقوى جيش من المرتزقة في العالم بدأ بعيدا جدا عن ساحات القتال الراهنة ، في مدينة هولاندا الهادئة في ميشيغن ، حيث ولد إريك برانس في سلالة يمينية مسيحية . فعائلة برانس هي التي وضعت الأساس، وأنفقت ملايين الدولارات على مدى عقود كثيرة ، لتوصل إلى السلطة هذه القوى بالذات التي سمحت لبلاكووتر بهذا الصعود السريع كالشهب ([٦٧]) .

فيما يخص العراق ، جعلت عملية الوكالات من الأسهل على باول وأرميتاج أن يؤثر في سياسة الإدارة عبر تكتيك السلبية والتأجيل . عندما يكون إجماع الإدارة مطلوبا لتمرير توصية معينة إلى الرئيس (مثلا التوصية للدعوة إلى مؤتمر سياسي للمعارضين العراقيين) ، كان من السهل على مسئولي الخارجية إيقاف المبادرة لأسابيع أو شهور دون أن يترتب عليهم شرح الأمر إلى الرئيس . قوت عملية الوكالات النزعة الملازمة للبيروقراطية نحو اللاعمل . في بعض الأحيان تعمل هذه النزعة دون إحداث أي ضرر ولكن في مسألة العراق ، سببت مشاكل أضرت بالجهد الحربي([٦٨]) .

في الوقت الذي كان باول وتينيت ونائباهما يساعدون على تطوير سياسة الإدارة لتغيير نظام الحكم في العراق ، كان بعض المسئولين من المستويات الدنيا في وزارة الخارجية وال " سي . آي . إيه " يرفعون أصواتهم سرا وعلنا في معارضة هذه السياسة . ولكنهم لم يقترحوا مقاربة بديلة أيضا ([٦٩]) .

كانت فكرة رايس عن دورها مختلفة عن فكرة مستشاري الأمن القومي التي عهدتها في إدارة ريغان . كان موظفو مجلس الآمن القومي في إدارة ريغان يصوغون له بوتيرة روتينية مسودات " أوراق خيار " تعرض آراء الوكالات المتناقضة مع وصفات لحلولها السياسية . وفي هذا الشأن يقول دوغلاس ج . فايث " أخبرني رمسفلد مرارا أنه يعتقد أن بوش يجب أن يتلقى " أوراق خيار " كتلك التي كانت تكتب لريغان . ولكن كان لرايس طريقتها الخاصة في العمل " ([٧٠]) .

ولكن من ناحية أخرى ، يقول فايث : " لا أعلم إذا كان بوش قد طلب من رايس أن تعمل بهذه الطريقة . في نصف السنة الأولى من الولاية الثانية لجورج دبليو بوش ، أصبح ستيف هادلي " نائب رايس " مستشار الأمن القومي عندما أصبحت رايس وزيرة للخارجية . حافظ هادلي ، بوجه عام ، على عادة محاولة إنتاج " اقتراحات تواصل " للرئيس " ([٧١]) .

أسهم موظفو رايس بورقة تدعى " استراتيجية لتحرير العراق " وزعت للمناقشة في اجتماع لجنة الأساسيين في ٦ آب . عكست الورقة تأييد رايس القوي لتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط ودعمها للعمل مع كل جماعات المعارضة العراقية الصديقة . وفي الوقت نفسه ، اتبعت الورقة طريقة رايس في خلط أو تجاوز أفكار متناقضة : مع أنها دعمت استراتيجية ما تسمى " التحرير لا الاحتلال " اشتملت أيضا على مشروع وزارة الخارجية / ال " سي . آي . إيه " القاضي بإنشاء إدارة عراقية بقيادة الولايات المتحدة ، مصممة لمنع الخارجيين من إبعاد الداخليين . وهكذا اشتملت الورقة على المفارقة نفسها التي واجهت وزارة الدفاع الأمريكية في ورقتي أرميتاج المقدمتين في ٢٥ تموز([٧٢]) .

بعد أن مزجت خط أرميتاج في ورقتها ، خلصت رايس إلى تقديم نصائح مشوشة: يجب على الولايات المتحدة أن تتجنب الاحتلال ، ولكن يجب عليها أن تخلق إدارة بقيادة الولايات المتحدة على كل حال ، بالرغم من أن ذلك يمكن أن يجعل الناس "

ترى في أعمال الولايات المتحدة احتلالا استعماريا جديدا " . كل هذه المتناقضات الذاتية كان مصدرها الاعتقاد بأن الداخليين لن يكونوا مستعدين للتصويت للخارجيين وهو افتراض أكدت خطأه الانتخابات العراقية([٧٣]) .

نوقشت ورقة رايس في لجنة الأساسيين في ٩ آب . وصف رمسفلد الورقة " بغير الدقيقة " وقال انه يجب إعادة كتابتها . فيما خص مسألة الحكومة الديمقراطية في العراق ، حذر رمسفلد " إننا يجب ألا ندعي أن بمقدورنا أن نخلقها " وفضلا عن ذلك ، يجب على المسئولين الأمريكيين ألا يوحوا بأن لدينا " قالبا سياسيا مضبوطا نفرضه " على العراقيين . لم يحول تشيني أن يجادل في أن على الولايات المتحدة أن تحدد بدقة ما هو نوع المؤسسات أو القوانين التي يجب أن تكون لدولة أخرى ، ولكنه قال:"يجب أن نوضح أننا مصرون على تغيير ديمقراطي". أضافت رايس أنه لا يجب أن ننفر من استعمال كلمة "الديمقراطية" وأوعزت إلى هادلي أن يجعل النواب يعيدون كتابة الوثيقة([٧٤]).

بعد اجتماع لجنة الأساسيين في ٩ آب قال فايث لرمسفلد " أن ملاحظاته عن الديمقراطية بدت سلبية . كان يمكن فهمها على أنها تنكر أو تقلل من مصلحة الولايات المتحدة في رؤية قيام حكومة ديمقراطية في العراق بعد خلع الرئيس العراقي صدام حسين"([٧٥]). قال" انه يفهم جيدا أن عراقا ديمقراطيا سيكون شيئا رائعا ويخدم مصالحنا في الشرق الأوسط ويساعد على مجابهة جاذبية التطرف الذي يغذي الإرهاب " ([٧٦]) .

الخاتمة

يتضح مما تقدم ، أن هناك هبوطاً ملحوظاً بدور وزارة الخارجية الأمريكية في عملية صنع القرار أمام تنامي قوة الاخيرة الإستخباراتية وفي حقبة الحرب الباردة ، بدليل أن البنتاغون والمخابرات ومجلس الأمن القومي قد همشوا وزارة الخارجية في عدد من المسائل ومنها عدد المستخدمين وموارد الميزانية.إن هذا يمكن تفسيره في الآتي:

١. بدأت الإدارة الأمريكية تتصرف وكأنها وزارة خارجية ايضاً، وفي هذا المجال يقول روجرز" لقد أدركت أن نيكسون أراد أن يكون قائداً لسياسته الخارجية ولم يرغب في أن يشاركه أحد في ذلك الدور".

٢. أصبحت الخارجية الأمريكية تماثل معنى (الخمول البيروقراطي) ، لعدم مواكبتها الإبتكار بصورة جيدة دين راسك عندما كان وزيراً للخارجية وهو يصف سنوات وزارة الخارجية على عهد كيندي وجونسون.

٣. أنتقدت الخارجية الأمريكية بسب إرتباطها بمكافأة الإلتزام وتقبل النظام وعدم وجود التخطيط فيها.

٤. عدم مواكبة موظفي الخارجية مع التقنيات الحديثة الملحة كالتدريب الإقتصادي وعدم تعاملهم مع المتغيرات الدولية.

وقد عبر عن هذه الحقائق جميعاً الدبلوماسي الأمريكي السابق جورج بول قائلاً: " إن السمعة السيئة التي لحقت بوزارة الخارجية في عدة جهات ناتجة جزئياً من حقيقة أنها كانت لمدة طويلة كبش الفداء لكل فشل في المجال السياسي، بينما إدعى الرؤساء النجاح لأنفسهم دائماً، فانه من الأمور التقليدية أن يعلن البيت الأبيض كل الأحداث السياسية الخارجية السعيدة، بينما يترك الأخبار السيئة لكي تنقلها وزارة الخارجية".

الهوامش

(*)أستاذ السياسة الخارجية في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد

[١]) جورج تنيت بالإشتراك مع بيل هارلو ، في قلب العاصفة السنوات التي قضيتها في السي آي إيه ، ترجمة عمر الأيوبي ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٧ ، ص ٣١٤ – ٣١٥

[٢]) بيتر و . غالبريث ، مصدر سبق ذكره ، نهاية العراق كيف تسبب القصور الأميركي في إشعال حرب لا نهاية لها ، ترجمة أياد أحمد ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ١٣٤ –١٣٥ ، ١٣٧ – ١٣٨ . وجورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣١ .

[٣]) وجد دينيس ماكشين ، الذي كان وزيرا تابعا لوزارة الخارجية البريطانية ، تحولا تاريخيا في دور الوزارة . كان المسئولون منشغلين بتفسير السياسة وبطريقة تقديمها بدلا من الانشغال بتحليل الخيارات السياسية وتبعاتها المحتملة . قال ماكشين للجنة العراق : " لم يكن هناك تخطيط لما يمكن أن يحدث في العراق أو تفكير فيه بعد سقوط صدام ... كانت وزارة الخارجية منشغلة جدا في تفاصيل لغة الأمم المتحدة أو في التعامل مع الرأي الشعبي والبرلماني في بريطانيا بحيث إنها لم تجد وقتا لتخصيص مواردها من أجل عرض خطة بخصوص عراق ما بعد الحرب لواشنطن " . راجع : جوناثان ستيل ، الهزيمة لماذا خسروا العراق ، الدار العربية للعلوم ناشرون ش . م . ل ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٤٦ . الحرب والقرار من داخل البنتاغون تحت عنوان الحرب ضد الارهاب ، تعريب سامي بعقليني ، بيروت ، ٢٠١٠ .

[٤]) دوغلاس ج . فايث ، الحرب والقرار من داخل البنتاغون تحت عنوان الحرب ضد الارهاب ، تعريب سامي بعقليني ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٣٢٨ .

[٥]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

[٦]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

[٧]) دوغلاس ج . فايث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٨ .

[٨]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

[٩]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .

[١٠]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

[١١]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

[١٢]) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

[١٣]) الدكتور حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٥٥٩ ، ٥٦١ .

[١٤]) دافيد ج. روثكوبف ، الطبقة الخارقة نخبة التسلط العالمي وأي عالم تبني ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت، ٢٠١١، ص ٧٨ .

[١٥]) ريتشارد هاس ، حرب الضرورة سيرة حربين على العراق حرب الاختيار ، ترجمة نورما نابلسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ٢٨٩ .

[١٦]) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .

17) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .

[١٨]) ف . ي . كرلوف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ .

[١٩]) يقول بريمر في مذكراته : " أشارت بعض القصص إلى انني أعرف رامسفيلد منذ أن عملنا معا في إدارة فورد ، ولاحظت أن رامسفيلد اقترح اسمي لهذا المنصب على الرئيس . وشددت قصص أخرى على سنوات خدمتي الدبلوماسية حيث تعرفت إلى باول ، وخمنت أنني مرشح الخارجية " . راجع : بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ .

[٢٠]) ولد رامسفيلد في ٩ تموز عام ١٩٣٢ في مدينة شيكاغو في ولاية الينوي بعد إنهاء تعليمه في الجامعة البروتستانتية حيث حصل على البكالوريوس في العلوم السياسية في عام ١٩٥٤ . في الأعوام ١٩٥٤ – ١٩٥٧ خدم رامسفيلد في طيران القوات البحرية الأمريكية . غادر رامسفيلد مبنى الكابيتول في عام ١٩٦٩ للعمل في إدارة الرئيس نيكسون بمنصب مدير مكتب القدرات الاقتصادية ومساعد الرئيس وعضو في المكتب الرئاسي (١٩٦٩ – ١٩٧٠) ، ومستشار الرئيس ومدير برنامج الاستقرار الاقتصادي ، وعضو في المكتب الرئاسي (١٩٧١ – ١٩٧٢) . أعلنت شركة سيرل G. D. Searle رسميا في أيار سنة ١٩٧٧ تعيين رمسفلد رئيسا ومديرا تنفيذيا . وأخذ دان سيرل نفسه منصب رئيس مجلس الإدارة ، وتم إبعاد أقرباء العائلة . راجع : ف . ي . كرلوف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٧ . وآندرو كوكبرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١، ٧١ . تميز رمسفلد بملامحه القاسية ، وبتأثيره على الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش ، بفرض آرائه وتنفيذها ، فيما يخص قضايا الدفاع الصاروخي المضاد . وفي بداية حياته السياسية شغل منصبين ، الأول مديرا لمكتب (الانتهاز الاقتصادي الأمريكي) أيام الرئيس نيكسون عام ١٩٦٩ ، والثاني أمينا عاما للبيت الأبيض أيام الرئيس جيرالد فورد . وعندما رقي لمنصب وزير الدفاع سلم منصبه الثاني لصديقه ديك تشيني الذي عرفه منذ عهد نيكسون . وبعد خمس وعشرين سنة ، أي عام ٢٠٠٢ سلمه بوش حقيبة وزارة الدفاع التي شغلها سابقا . إن رمسفلد في آن هو أصغر وزير دفاع وأكبر وزير للدفاع عمرا في التاريخ الأمريكي . إنه مفتون حتى نخاع العظم بهنري كيسنجر الذي قال عن رامسفيلد الشاب : " إنه سياسي بيروقراطي قدير وحكيم ، يتميز بصفات حميدة ، فهو عزيز النفس ، صلب الإرادة لا يستهان بقدراته " . راجع : الدكتور شادي فقيه ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٨ . وف . ي . كرلوف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٥ .

يصف هارتمان ، رمسفلد " بالصراحة وعندما يكون الوقت ملائما ، كان يبتسم كثيرا ، كانت الابتسامات بلا شك عاملا مساهما في شعبية رمسفلد ضمن دائرة واشنطن ، ولكن العمل عنده كان سابقا للصداقات " . أما نيكسون فيقول عن رمسفلد في آذار سنة ١٩٧١ قائلا : " يبدو أن رمسفلد كان ملائما ، إنه على الأقل صارم بما يكفي، إنه كاذب صغير لا يرحم . يمكنك أن تكون واثقا من ذلك " . إن نيكسون قد أعجب برمسفلد ، فهم دونالد أن نيكسون يحب المدعومين من خلفية جامعات عصبة اللبلاب Ivy League من مناطق الجوارب الحريرية ، وعرف كيف يكسب الإعجاب بذلك . كان جورج

بوش الأب مدعوما آخر ، فتمكن من أن يجعل نيكسون يعينه سفيرا في الأمم المتحدة لأنه وعد بمحاربة طبقته الشخصية بالنيابة عن نيكسون . من هنا ولدت فكرة أن رمسفلد كان في أيام شبابه حمامة حب على فيتنام . ولم يكن أحد في دائرة نيكسون الداخلية يعتقد حينها أن رمسفلد كان يتصرف حسب مبادىء . " إنه مستعد لأن يقفز على السفينة " ، هكذا قال نيكسون لهالدمان وكيسنجر بعد السابع من نيسان سنة ١٩٧١ ، وكان هذا اجتماع أثبت فيه رمسفلد جموحه .

وأن من أشهر مقولات رمسفلد سخريته الدالة على " أوربا القديمة " التي كانت إلهاما من التردد الفرنسي والألماني في دعم غزو العراق . وتأتي منشورات كهذه صدمة لرجال دولة لديهم ذكريات طويلة . " يبدو لي شخصا غامضا " ، هذا ما قاله مسئول كبير . " إني أعرف دونالد رمسفلد منذ خمس وثلاثين سنة وما زلت لا اعرف كيف يفكر ، عرفته أول مرة عندما كان سفيرا في حلف شمال الأطلسي . وهل تعرفون أنه كان في تلك الأيام متطرفا في تأييده لأوربا . وكان السفير الفرنسي صديقه الحميم " .

وصف صديق قديم وزميل سابق لرمسفلد هذه المهمة الغريبة قائلا : " إن دونالد ينظر إلى كل شيء من منظار وضعه. فلذلك لا توجد أي قضية مهمة لن يستطيع تجنبها إذا كان هناك جانب أدنى . لديه نظام رادار عالي المستوى يعطيه معنى حلول مميتة مقبلة لكي يستطيع البقاء بعيدا . إنه ماهر في إبقاء علامات أصابعه بعيدة " .

كان رمسفلد في بروكسل بعيدا عن مساوىء واترغيت والجرائم المتعلقة بها التي بدأت تلتف حول نيكسون في البيت الأبيض . وبرغم انحرافات واضحة كهذه ، لم تتحرك عين رمسفلد بعيدا عن واشنطن والانحدار المستمر لناصحه . وبين بعد ذلك كيف علم أن ريتشارد نيكسون ترك الرئاسة من صحيفة هرالد تريبون International Herald Tribune خلال عطلته على الريفيرا الفرنسية ، فسافر بعد ذلك إلى واشنطن ليرى ما يستطيع عمله ليساعد جري فورد . ولما كان رمسفلد لم يلطخ بأي من الفضائح التي أطاحت بنيكسون والتي كانت تضعف فورد ، فقد عاد رمسفلد إلى البلد كالمنقذ ، ذاهبا إلى البيت الأبيض كرئيس لموظفي البيت الأبيض . (كان لدى تشيني تحفظات على العودة إلى الخدمة ، فاستشار رئيسه بروس برادلي مستوضحا إن كان انتقاله إلى موقع نائب أول لرئيس الموظفين في البيت الأبيض يجدي سيرته نفعا . فأكد له برادلي أنها جيدة غالبا. أصبحت طبيعة العلاقة بين رمسفلد وتشيني مسألة سحر عالمي بوجود جورج دبليو بوش في البيت الأبيض. كان ثمة قليل من الجدل بأن هذين الرجلين عملا بشراكة في جر البلاد إلى منطقة خطيرة وغير معروفة . وقليل هم الذين عرفوا أن هذه العلاقة المشئومة كانت أكثر عندا مما فهمه العالم .) ، وصار لرمسفلد قوة حقيقية ، غير أن طموحه لم يتحقق ولو بدرجة خفيفة . وكتب الصحفي جاك أندرسون " أن دونالد رمسفلد لن يبقى في البيت الأبيض أكثر من ستة أشهر " وذلك خلال أسابيع من انتقاله إلى الجناح الغربي لأن فورد أراد أن يرسل " رمسفلد القادر " لإدارة البنتاغون .

كان هناك خلاف بين البيت الأبيض ، ورمسفلد حول دعم المعارض العراقي أحمد الجلبي عندما دخل الجيش الأمريكي جنوب العراق عشية الاحتلال ، فقد وضح رمسفلد مشاعره في موجز صحفي في السابع من نيسان ٢٠٠٣ ، في اليوم الذي تلا هبوط المنفي الجلبي في جنوب العراق . وعندما سئل إن كان يدعم الجلبي أو أنه يوافق على دوره في عراق ما بعد الحرب، أجاب رمسفلد بالطبع لا . لقد قلت إن الشعب العراقي هو وحده الذي سيتخذ هذه القرارات . على الرغم بأنه كان مفضلا في البنتاغون ويتمتع بدعم صقوره . وقد جاء هذا الموقف من رمسفلد بناء على موقف جورج بوش الذي قال عنه : " إن الجلبي ليس الرجل الذي أريده " .

كان هناك رتل من المراقبات التلفزيونية في الطابق الثاني في مكتب الشئون العامة في وقت غزو العراق ، موضوع على برامج الأخبار كلها . وفي وقت محدد من الأيام الأولى ، نظر أحد المسئولين عاليا ورأى " أن كل شيء قد ظهر فيها ضابط متقاعد يتحدث عن الحملة. وكان كل واحد منهم صديقنا". وكان بعضها قنوات يعتمد عليها في رسالة رمسفلد أكثر من غيرها.

قدم رمسفلد بشكل عام ، صورة رأس وزارة الدفاع الذي لم يكلف نفسه عناء قراءة نصف المذكرات التي أتت إلى مكتبه وسلم المسئولية إلى آخرين " أعتمد بين يوم وآخر على المسئولين الرفيعين في الوزارة لأداء مسئولياتهم القانونية " . وأمضى معظم وقته " يعمل كرابط بين الرئيس القائد ، والقادة المحاربين الذين يشنون الحروب " . أما متعهدو الدفاع ، فلم يجتمع معهم إلا إذا رآهم مصادفة في حفل في مكان ما " . استقال رمسفلد بعد شهرين من رحلته الأخيرة إلى بغداد ، تاركا الشرق

الأوسط بعيدا عن السلام . وفي ما بعد صار رامسفلد أحد المؤسسين لما يعرف بتنظيم " القرن الأمريكي الجديد " الذي يهدف إلى " زعامة أمريكية للعالم " والذي دعا عام ٢٠٠٠ لغزو العراق . راجع : آندرو كوكبرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦ – ٢٨ ، ٣١ – ٣٤ ، ٧١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٢١٢ – ٢١٤ ، ٢٥٣ . ومجدي كامل ، بلاك ووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب بزنس الموت على الطريقة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٩ – ٨١ .

[٢١]) بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠ .

[٢٢]) جورج تنيت بالإشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٧ ، ٤٣٠ .

هناك إنترنيت سري ، إلى جانب الإنترنيت الذي نستعمله جميعنا ، يعرف باسم سيبرنت Siprnet ، متوفر فقط لأولئك الذين لديهم موافقة وأدوات خاصة . وهو اختصار لاسم Secret Internet Protocol Router Network وهو الإنترنيت الموجود في البنتاغون ، ويبقى دائما منفصلا بحذر عن مقابله المدني . وأن الدخول إليه مقتصر على تلك الأطراف المحروسة جيدا . وإن مستعمليه لديهم كلمة سر ، وجميع رسائله مشفرة . كما أن النظام مقسم إلى أجزاء مستقلة داخليا ، فالدخول إلى جزء منه لا يسمح تلقائيا للمستخدم أن يدخل إلى موقع على الإنترنيت مدمج للموظفين ، على سبيل المثال ، أو إلى مؤتمرات رمسفلد المسجلة على الفيديو مع قادته المحاربين ، فقد كانت هذه المؤتمرات تنقل عبر السيبرنت . وكان مسموح للضباط من موظفي ميلر أن يدخلوا إلى السيبرنت ، وكانت مهارتهم الخاصة في معرفة ما ينبغي أن يروه ، ويتفحصون أي موقع سري على الإنترنيت تابع للبنتاغون ، ويراقبون بالتالي تحركات رمسفلد في وقتها . ولم تمكن عملياتهم ميلر من اخبار رايس عن آخر التطورات فحسب ، وهي أرفع منه مباشرة ، بل منافسي رمسفلد المكروهين ، باول وأرميتاج في وزارة الخارجية . وكانت هذه الطريقة الوحيدة التي استطاع من خلالها الضباط والموظفون رفيعو المستوى من اكتشاف أي وحدات احتياطية قرر الوزير أن يحرك ومتى يحركها ، على سبيل المثال . وأن الأمر أكثر غرابة هو أن النظام العجيب قد استمر منذ أن بدأت الحرب ، مع طاقم الرئيس ودبلوماسييه الرفيعين الذين أجبروا على التجسس على زملائهم لمعرفة سريان القوات الأمريكية .

وبمجرد أن كافح رمسفلد من أجل ما سماه توري كلارك هيمنة المعلومات على بقية الحكومة ، كان يبذل جهودا للتحكم بالصورة التي سيتلقاها الشعب الأمريكي عن الحرب . وكان جزء من إسهامه قد جاء على شكل الظهور المتكرر أمام الجمهور، إما في المؤتمرات الصحفية في البنتاغون أو في استوديوهات التلفزيون ، حيث أظهر الأسلوب المخادع والواثق الذي أتقنه منذ الحادي عشر من أيلول . (كان وولتوفيز يظهر أمام الناس أيضا ، بفضل الجهود المصرة لطاقم شئونه العامة، إذ أصر على أن يبقوا مستقلين عن كلارك) .

[٢٣]) بريمر ، مصدر سبق ذكره ، ص٣٧ –٣٨ .

[٢٤]) إن التغيير من الهيمنة إلى الانفرادية كان قد تزامن مع السيطرة الكبيرة لوزارة الدفاع على وزارة الخارجية في المنافسة الإدارية والموارد . ففي منتصف الثمانينات وخلال حقبة التسعينات من القرن الماضي عانت كلا من الميزانية العامة لوزارة الخارجية والوكالة الدولية للتنمية من تخفيضات حادة ، وبلغت التناسب الانفاقي العسكري الإجمالي على الشؤون الدولية كان يعادل تقريبا نصف ميزانية الدفاع في العام ١٩٤٨ ، في حين متوسط الإنفاق عليها في التسعينات بلغ ٦% من إجمالي الإنفاق العسكري .راجع : Steven W .Hook ,"Domestic Obstacles to International Affairs : The State Department Under Fire at Home < ps : Political Science and Political , pp .23-29 إذا ما علمنا بان ميزانية الدفاع الأمريكي هي أكبر من ميزانية عشرة قوى عسكرية في العالم ، إذ بلغت في العام ١٩٩٧ ، ٦٧ بليون دولارا . راجع : Martin Walker Whose Internationalism , Whose Isolationm , Anti – Internationalism Conference , Carnegie Councilon Ethic and International Affairs and World Policy Institute , New York , April 11,1996 , p. 56 .

[٢٥]) حظى جي غارنر بثقة وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد ، تميز بمعرفته عن القضايا العراقية ، كونه قد اشترك في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ ، ولعلاقته الجيدة مع بعض شرائح المجتمع العراقي . هو رئيس شركة سي . ي . كوليمان

المساندة لأنظمة الصواريخ في حرب العراق . زار الأرض المحتلة عام ٢٠٠٠ ، بناءا على دعوة من المعهد اليهودي لشئون الأمن القومي .

أشاد جي غارنر ، بالجيش الصهيوني، أثناء الانتفاضة الفلسطينية . أعلن أنه سيدفع الحكومة العراقية الجديدة التي جاءت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ، من الاعتراف بالكيان الصهيوني .

كان جي غارنر في مقدمة الداعين لتصفية معاهدة الحد من الأنظمة البالستية ، أشرف على مجموعة بطاريات صواريخ باتريوت . فضلا عن إشرافه على إعادة توطين اللاجئين خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ قبل توليه قيادة سلاح الفضاء والدفاع الإستراتيجي . أنتدب غارنر مهمة الإشراف على العراق قبل أشهر من الإحلال ، ثم أرسل إلى الكويت لجمع فريقه وإعداده ، وقد وصل غارنر وفريقه إلى العراق في ١٨ نيسان لتولي مسؤولية " مكتب إعادة الأعمار والمساعدة الإنسانية " . علق السفير البريطاني في مصر جون سوورز الذي كان في بغداد لتقصي الأوضاع نيابة عن رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير في برقية بعث بها إلى لندن- عقب الاستغناء عن خدمات غارنر - : " إدارة غارنر في حال يرثى له ، فهي بلا قيادة أو إستراتيجية أو تنسيق ، أو هيكلية ، كما أنها منعزلة عن العراقيين العاديين ... غارنر وفريقه المكون من جنرالات متقاعدين في العقد السادس من أعمارهم يمتازون بالنوايا الحسنة ، ولكنهم في حالة من التخبط " . راجع : الدكتور حامد محمود عيسى ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥٥ . وبيتر و غالبريث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦ . وجورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارنو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٨ . وآندرو كوكبرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٠ .

[٢٦]) ف . ي . كرلوف ، مصدر سبق ذكره ،

[٢٧]) ليام أندرسن ، غاريث ستانسفيلد ، عراق المستقبل دكتاتورية ، ديمقراطية أم تقسيم ، مراجعة وتقديم وتعليق ماجد شبر ، دار الوراق للنشر ، لندن ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٠٨ .

[٢٨]) جيمس ريزن ، حالة حرب التاريخ السري للسي آي إيه وإدارة جورج بوش ، ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٧٧ – ٧٨ .

[٢٩]) جيمس ريزن، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٧ – ٧٨ .

[٣٠]) دافيد ج . روثكوبف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٤ .

[٣١]) جورج تنيت بالإشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٨ .

يقول المراسل الاستخباري لصحيفة نيويورك تايمز العتيق : " أن رمسفلد ، كان يطرد أي شخص من مكتبه يدعي أنه يعرف قبل الحرب ما ستكون عليه أحوال العراق بعد الحرب . أن موظفي الإدارة فشلوا في صنع خطط بعد الحرب وأننا أقنعنا أنفسنا أن لا خطط كانت مطلوبة لتلك المدة " . راجع : دوغلاس ج . فايث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٦ .

[٣٢]) جورج تينيت بالاشتراك مع بيل هارلو ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢٨ .

[٣٣]) إن آرميتاج الذي افتخر بنفسه لمساعدته في وضع سياسة الدفاع للإدارة الجديدة ، عليه أن ينظر من الخارج كيف تبنى رمسفلد برنامج السيداتل (القلعة) كبرنامجه الشخصي . أمضى آرميتاج سنوات وهو يحضر نفسه ليكون نائبا لوزير الدفاع . فكان إخفاقه في ذلك صدمة قاسية له . وأخذ مهمة نائب وزير الخارجية كولن باول كنوع من المواساة . راجع : آندرو كوكبرن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٢ .

[٣٤]) دوغلاس ج . فايث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

[٣٥]) دافيد ج . روثكوبف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٣ .

[٣٦]) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .

[٣٧]) دافيد ج . روثكوبف ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

[٣٨]) جيريمي سكاهيل ، بلاكووتر أخطر منظمة سرية في العالم مرتزقة يقررون مصائر دول وشعوب أياد نافذة في غرف الحكم بواشنطن ، ط٣ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠ ، ص ١٣ – ١٤ .

[٣٩]) جيرمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤ – ١٥ .

[٤٠]) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

[٤١]) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

[٤٢]) المصدر نفسه ، ص ١٥ – ١٦ .

[٤٣]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ – ١٧ .

[٤٤]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

[٤٥]) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

[٤٦]) مجدي كامل ، بلاك ووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب بزنس الموت على الطريقة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦ .

[٤٧]) مجدي كامل ، الطريقة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧ .

[٤٨]) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

[٤٩])المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

[٥٠]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره، ص ١٩ .

[٥١]) مجدي كامل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٠ .

[٥٢] المصدر نفسه ، ص ٧١ .

[٥٣]) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

[٥٤]) مجدي كامل ، بلاك ووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب بزنس الموت على الطريقة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١ .

[٥٥]) المصدر نفسه ، ص ٧١ .

[٥٦]) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

[٥٧]) مجدي كامل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٣ .

[٥٨]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[٥٩]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[٦٠]) مجدي كامل ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١ – ١٢ .

[٦١]) المصدر نفسه ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢ .

[٦٢]) المصدر نفسه ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢ .

[٦٣]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ .

[٦٤]) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

[٦٥]) مجدي كامل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

[٦٦]) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

[٦٧]) جيريمي سكاهيل ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩ – ٣٠ .

[٦٨]) دوغلاس ج . فايث ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٧ .

[٦٩]) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ .

[٧٠]) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

[٧١]) دوغلاس ج . فايث ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٧ .

[٧٢]) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ . وريتشارد هاس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٤ ، ٣١٠ .

[٧٣]) دوغلاس ج . فايث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٧ .

[٧٤]) المصدر نفسه ، ص ٣٣٧ .

[٧٥]) فضل ريتشارد هاس إسناد دور رئيس كبير للأمم المتحدة يكمل الدور الأمريكي في مجال الأمن . والمشكلة كانت أنه لم يكن هناك ببساطة أي ميل لإشراك الأمم المتحدة في ذلك . وكان الخوف من أن تمضي الأمم المتحدة بعملية سياسية لن تخدم أولئك المنفيين والأكراد الذين أراد الكثيرون في الإدارة رؤيتهم في مواقع السلطة . راجع : ريتشارد هاس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٦ .

[٧٦]) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨ .

كان يدير مشروع مستقبل العراق موظف من الخارجية يدعى توماس وريك ، جعل من نفسه متحيزا في النزاعات الحزبية بين العراقيين الأمريكيين الذين يعملون على المشروع ، وعاد وانتشر الحديث بأنه تكلم بشدة ضد تشيني وولفويتز ، وغيرهما في الإدارة ممن يخالفهم الرأي .

في وقت لاحق من شباط ، عندما كان جاي غارنر يفتش عن موظفين ، استطاع وريك أن يتوظف في أورها . ولكن رامسفيلد حث غارنر على عدم توظيفه . وقد فعل غارنر ذلك . راجع : المصدر نفسه ، ص ٤٣٨ .